

العنوان الأحد أحد مدخل الصوم الكبير

الخوري أنطوان القزي

آية عرس قانا الجليل

(يوحنا ٢: ١-١١)

١ وفي اليوم الثالث، كان عرسٌ في قانا الجليل. وكانت أمُّ يسوع هناك.

٢ ودُعِيَ أيضًا يسوع وتلاميذه إلى العرس.

٣ ونفذ الخمر. فقالت لیسوع أمُّه: "ليس لديهم خمر".

٤ فقال لها يسوع: "ما لي ولك، يا امرأة؟ لم تأت ساعتي بعد!".

٥ فقالت أمُّه للخدم: "مهما يقل لكم فافعلوه!".

٦ وكان هناك ستة أجرانٍ من حجر، معدة لتطهير اليهود. يسع كلُّ منها من ثمانين إلى مئة وعشرين ليترًا.

٧ فقال يسوع للخدم: "املأوا الأجران ماءً". فملأوها إلى فوق.

٨ قال لهم: "استقوا الآن. وقدموا لرئيس الوليمة". فقدموا.

٩ وذاق الرئيس الماء، الذي صار خمرًا - وكان لا يعلم من أين هو، والخدم الذين استقوا يعلمون - فدعا إليه العريس

١٠ وقال له: "كل إنسان يقدم الخمر الجيد أولاً، حتى إذا سكر المدعوون، قدم الأقل جودة.

أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيد إلى الآن!"

١١ تلك كانت أولى آيات يسوع، صنعها في قانا الجليل، فأظهر مجده، وآمن به تلاميذه.

مقدمة

مع أحد عرس قانا، تفتتح الكنيسة زمنًا ليتورجيًا جديدًا، هو زمن الصوم الكبير.

والصوم في الأساس هو فريضة من فرائض الدين اليهودي، لذا نقرأ في إنجيل لوقا كيف

يسألون يسوع "لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيرًا ويقدمون طلبات، وكذلك تلاميذ الفريسيين

أيضًا، وأمَّا تلاميذك فيأكلون ويشربون؟" (لو ٥: ٣٣). والكتاب المقدس يقدم لنا الصوم على أنه

شيءٌ جيّد. فالمؤمنون يصومون قبل الإقدام على قراراتٍ مهمّة وفي ظروفٍ محدّدة (لو ٢: ٣٧).

أمّا الهدف من الصّوم بحسب الكتاب نفسه هو أن نحول نظرنا عن الأشياء العالمة ونركّزه

على الله وحده، والإصغاء لكلمته والعمل بموجبها. لذا تفتتح الليتورجية المارونيّة هذا الزمن

بأحد عرس قانا الجليل بحسب ما يُخبرنا يوحنا الإنجيلي في الفصل الثاني من إنجيله.

شرح الآيات

حين يُخبرنا يوحنا عن حادثة عرس قانا، فهو يقول لنا صراحةً الهدف الذي يبتغيه من هذه الحادثة: إظهار مجد يسوع ليقود إيمان التلاميذ إلى كماله. هذا الهدف يرتبط مباشرةً بما قاله في مطلع إنجيله **”والكلمة صار بشرًا فسكنَ بيننا فرأينا مجدهً مجددًا من لدن الآب لابنٍ وحيدٍ ملؤه النعمة والحق”** (يو ١: ١٤).

١. وفي اليوم الثالث، كان عرسٌ في قانا الجليل، وكانت أمُّ يسوع هناك.

٢. ودُعِيَ أيضًا يسوع وتلاميذه إلى العرس

إنه اليوم الثالث وهو استمرارٌ لليومين الأولين من المنظار التاريخي: الأول، وفيه شهد المعمدان للذي سيأتي من بعده ليرفع خطيئة العالم (يو ١: ٢٦-٢٨). اليوم الثاني حصلت لقاءات ثلاث: بين يسوع ويوحنا (يو ١: ٢٩)، بين يسوع وتلميذ يوحنا (يو ١: ٣٨)، بين يسوع ونتنائيل (يو ١: ٤٣). بعد هذه الأحداث يأتي اليوم الثالث وفيه عرسٌ في قانا الجليل. أمّا نحن، فلفظة ”اليوم الثالث” توجه أنظارنا إلى يوم قيامة الرب. فآية قانا ستأخذ معناها الحقيقي على ضوء القيامة، لأنها استباقٌ رمزيٌّ لظهور مجد يسوع العظيم بموته وقيامته. **”كان عرسٌ”** في اليونانية (غاموس) وهي لفظة ترتبط بحسب مفهوم الكتاب المقدس بعهد الله مع شعبه (أش ٥٤: ٥-٦، ٦٢: ٢-٥، هو ٢: ١). وتدلُّ أيضًا بحسب العهد الجديد على اتحاد يسوع بكنيسته (٢ كور ١: ٢، أف ٥: ٢٥-٢٧). هكذا جمع يوحنا صورة العهد والوليمة في حادثة واحدة هي عرس قانا، وهي بالتالي استباقٌ لعرس المسيح وعهده مع كنيسته على الصليب.

”وكانت أمُّ يسوع هناك” مريم موجودة بحسب الإنجيل الرابع في عرس قانا مرّة وفي عرس الصليب مرّة أخرى (يو ١٩: ٢٥-٢٧). بمعنى آخر، هي موجودة في بداية حياة ابنها العلنيّة ونهايتها. هي الإحاطة التي تحيط بمشروع الله الخلاصي الذي بدأ في قانا واكتمل على الصليب، وحثّ الآخرين على اتّباعه والطاعة لمشروعه وإرادته.

٣. ونفد الخمر، فقالت لیسوع أمّه: **”ليس لديهم خمر”**

نفاد الخمر كان حافزًا أساسيًا للحوار بين مريم ويسوع. غالى الكثيرون في تفسير نتائج هذا الحوار حتى بلغوا حدًا من المغالطات الفادحة: قال بعضهم أنّ يسوع رفض طلب أمّه ثم عاد وتراجع. وآخرون رأوا بتصرف مريم لامبالاة تجاه جواب ابنها، لا بل قدرةً على تغيير إرادته. واعتبر غيرهم أنّ يسوع لم يوافق كلاميًا بل بحركة جسميّة... كلّ هذا يبقى ثانويًا وسطحياً أمام عمق المعنى الأساسي الذي كشفه يوحنا نفسه بوضوح في (آ ١١) ألا وهو إظهار مجد يسوع.

٤. فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: "مَا لِي وَلَكَ، يَا امْرَأَةً؟ لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ!"

"ما لي ولك، يا امرأة؟" لفظة سيعيدها يسوع وهو على الصليب "يا امرأة هذا ابنك" (يو ١٩: ٢٦). لم نتعود نحن المشرقيون على تسمية كهذه من ابن لأمه. اتناسى يسوع رباط الدّم؟ ربّما. ولكنه ارتفع إلى أسمى من ذلك، فهو الآن أمام تلاميذه، ملتزمًا مشروعه الخلاصيّ وهو الهدف الأخير من تجسّده. هو (يسوع) آدمّ الجديد مقابل المرأة الجديدة (حواء) وهي مريم. "لم تأت ساعتي بعد" هي عبارة تتكرّر مرّات عديدة في الإنجيل الرابع، وإن بدت غير واضحة. غير أننا سنكتشف حقيقةً وعمق معناها حين تأتي الساعة ويُرفع ابن الإنسان على الصليب "جاءت الساعة التي فيها يتمجّد ابن الإنسان" (يو ١٢: ٢٣).

٥. فَقَالَتْ أُمُّهُ لِلْخَدَمِ: "مَهْمَا يَقُلْ لَكُمْ فافْعَلُوهُ!"

"فقالت أمّه للخدم: مهما يقل لكم فافعلوه". لم تجد مريم في جواب ابنها رفضًا لطلبها بل حنًا على انتظار ساعة المجد والخلاص. فتوجّهت إلى الخدم ودعتهم لأن يفعلوا ما يأمرهم به. هي دعوة استعارتها مريم من كتاب التكوين: "فلما جاع جميع أهل مصر صرخ الشعب إلى فرعون وطلب خبزًا، فقال فرعون لكل المصريين: اذهبوا إلى يوسف وافعلوا ما يقوله لكم" (تك ٤١: ٥٥). حدث قانا إذا يكشف لنا حقيقةً حدث مضي، ذلك يوم لم يكن للمصريين خبز. حينها رأى فرعون في يوسف حكمة الله، فاخترى هو من أمامه بعدما دلّ شعبه على الذي يُشبع جوعهم. هكذا مريم اختفت أمام ابنها، ودلّت الخدم على ذلك القادر أن ينقذ فرح الإنسان وسعادته.

٦. وَكَانَ هُنَاكَ سِتَّةُ أَجْرَانٍ مِنْ حَجَرٍ مُعَدَّةٌ لِتَطْهِيرِ الْيَهُودِ، يَسَعُ كُلُّ مِنْهَا مِنْ ثَمَانِينَ إِلَى مِئَةِ وَعِشْرِينَ لَيْتْرًا.

٧. فَقَالَ يَسُوعُ لِلْخَدَمِ: "إِمْلَأُوا الْأَجْرَانَ مَاءً". فَمَلَأُوهَا إِلَى فَوْقِ.

"ستّة أجران... معدّة لتطهير اليهود". تقصد الإنجيلي أن يتحدث عن هذه الأجران بدقّة، وأوضح هدف استعمالها في طقوس التطهير عند اليهود (مر ٧: ٣-٤). وكأنّه أراد أن يقول أنّ عمل هذه الأجران قد بطل. أمّا وقد جاء المسيح، فقد تحوّلت مياه التطهير إلى خمر. فرمز بذلك إلى بداية عهد جديد.

إذا كان الكيال يسع خمسين ليتراً، هذا يعني أنّ سبعة الجرن الواحد مئة وخمسون ليتراً. بالتالي تصل سعة الأجران الستّة إلى تسع مئة ليتراً. نحن إذا أمام كمّيّة هائلة من المياه التي ستحوّل إلى خمر.

٨. قَالَ لَهُمْ: "اسْتَقُوا الْآنَ، وَقَدِّمُوا لِرَبِّيسِ الْوَلِيمَةِ". فَقَدَّمُوا.

سِنَّهُ أَجْرَانِ مَلَأُوهَا إِلَى فَوْقٍ. إِنَّهَا فَيْضُ الْخَيْرَاتِ الْمَسِيحَانِيَّةِ الَّتِي تَرْمِزُ إِلَيْهَا آيَةُ قَانَا الْجَلِيلِ.

٩. وَذَاقَ الرَّبِّيْسُ الْمَاءَ، الَّذِي صَارَ خَمْرًا - وَكَانَ لَا يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ، وَالْخَدَمُ الَّذِينَ اسْتَقَوْا

يَعْلَمُونَ - فَدَعَا إِلَيْهِ الْعَرِيسَ

١٠. وَقَالَ لَهُ: "كُلُّ إِنْسَانٍ يُقَدِّمُ الْخَمْرَ الْجَيِّدَ أَوَّلًا، حَتَّى إِذَا سَكِرَ الْمَدْعُوْنَ، قَدَّمَ الْأَقْلَّ

جُودَةً. أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَبْقَيْتَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَ إِلَى الْآنَ!"

يَشَدِّدُ يُوْحَنَّا أَنْ رَبِّيْسَ الْوَلِيمَةِ كَانَ يَجْهَلُ مَا دَارَ مِنْ حَدِيثٍ وَمَا حَصَلَ فِيهَا خِصَّ تَحْوِيلِ الْمَاءِ إِلَى خَمْرٍ. وَكَأَنَّهُ أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُ شَخْصًا يَنْظُرُ بِمَوْضُوعِيَّةٍ إِلَى الْآيَةِ الَّتِي تَمَّتْ وَلَمْ يَكُنْ أَسَاسًا عَلَى عِلْمٍ بِهَا. هَذَا مَا يُثْبِتُ أَنَّ هَذِهِ الْخَمْرَ هِيَ عَطِيَّةٌ مِنْ عَلٍّ وَلَيْسَتْ مِنْ عَالِمِ الْبَشَرِ. فَيَرَى الْمُؤْمِنُ بِتَحْوِيلِ الْمَاءِ إِلَى خَمْرٍ عَبُورًا مِنْ عَهْدِ الشَّرِيعَةِ إِلَى عَهْدِ النِّعْمَةِ الَّتِي سَيُنَالُهَا بِمَلِيئَتِهَا بَعْدَ أَنْ تَأْتِيَ السَّاعَةُ فَيَتَمَجَّدُ ابْنُ الْإِنْسَانِ مَرْفُوعًا عَلَى صَلِيبِهِ.

"كُلُّ إِنْسَانٍ يُقَدِّمُ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ أَوَّلًا..." هُوَ كَلَامٌ عَنْ جُودَةِ وَنَوْعِيَّةِ الْخَمْرِ الْمُعْطَاةِ مِنْ عَلٍّ بَعْدَ أَنْ تَحْدُثَ عَنْ وَفَرْتِهَا.

١١. تِلْكَ كَانَتْ أَوْلَى آيَاتِ يَسُوعَ، صَنَعَهَا فِي قَانَا الْجَلِيلِ، فَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، وَأَمَّنَ بِهِ تَلَامِيذَهُ.

عَلَى عَكْسِ الْإِزَائِيِّينَ، يَفْضَلُ يُوْحَنَّا اسْتِعْمَالَ لَفْظَةِ "آيَةٍ". فَالْعَجَائِبُ عِنْدَ مَتَّى، وَمَرْقَسَ، وَلَوْ قَا كَانَتْ شَهَادَةً عَلَى مَجِيءِ الْمَلَكُوتِ، فِي حِينِ أَنْ الْآيَةَ عِنْدَ الْإِنْجِيلِيِّ الرَّابِعِ تَشْهَدُ عَلَى حَقِيقَةِ الْمَسِيحِ نَفْسِهِ عَلَى أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ وَهُوَ الْخَلَّصُ. فَنَرَاهُ يُكْتَرُّ الْخَبْزَ وَيَقُولُ "أَنَا خَبْزُ الْحَيَاةِ"، ثُمَّ يَشْفِي الْأَعْمَى وَيَقُولُ "أَنَا النُّورُ"، وَبَعْدَهَا يُحْيِي لِعَازَرَ وَيُعلنُ "أَنَا الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ".

خِلاصَةٌ رُوحِيَّةٌ

نَفْتَحُ زَمَانَ الصُّومِ الْكَبِيرِ بِآيَةِ عَرَسِ قَانَا الْجَلِيلِ، وَمِنْهَا نَفْهَمُ ارْتِبَاطَهَا بِهَذَا الزَّمَنِ، بِحَيْثُ نَتَخَلَّى فِيهِ عَنْ كُلِّ مَا أُوْهَمْنَا أَنَّهُ مَصْدَرُ سَعَادَةٍ لَنَا وَفَرَحٍ. وَإِذَا بَنَّا مُحَاطُونَ بِالتَّعَاسَةِ وَنَنْزِفُ كُلَّ فَرَحٍ وَسَعَادَةٍ. وَحَدَّهُ يَسُوعُ قَادِرٌ أَنْ يَمْنَحَنَا السَّعَادَةَ بِوَفْرَةٍ وَفَيْضٍ. سَعَادَةٌ بِجُودَةٍ عَالِيَةٍ بِحَيْثُ لَا تَتَعَرَّضُ لِأَيِّ عَطَبٍ أَوْ نَقْصٍ أَوْ زَوَالٍ. أَمَّا مَا هُوَ شَرْطُهُ؟ شَرْطٌ وَحِيدٌ: أَنْ نَصْفِي إِلَيْهِ وَأَنْ نَفْعَلَ مَا يَقُولُهُ لَنَا، فَهُوَ وَحَدَّهُ قَادِرٌ أَنْ يُشْبِعَ جُوعَنَا.